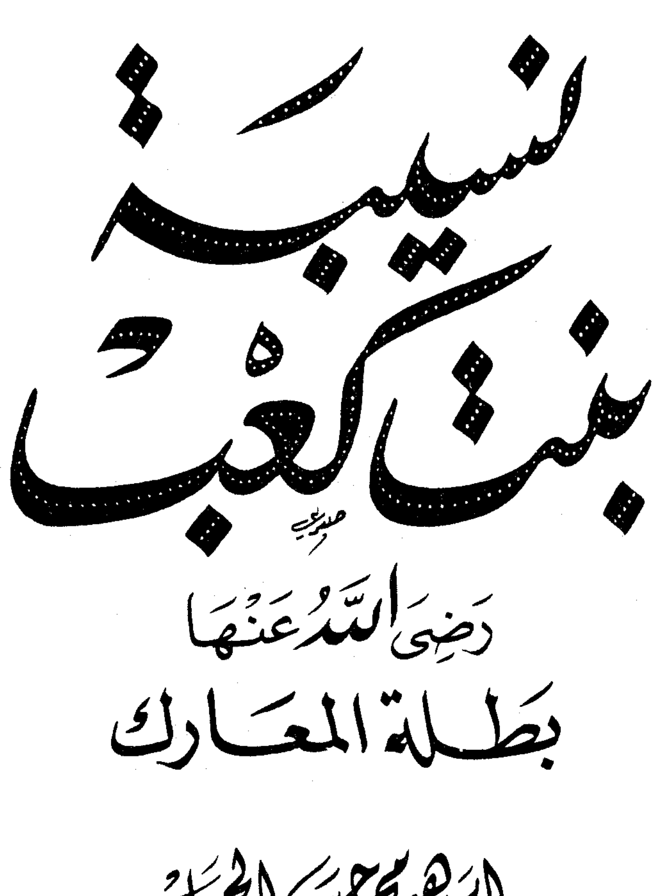

نساء حول الرسول
صلى الله عليه وسلم
(٧)


نسيبة
بنت كعب
رضي الله عنها
بطلة المعارك
إبراهيم محمد حسن الجمل

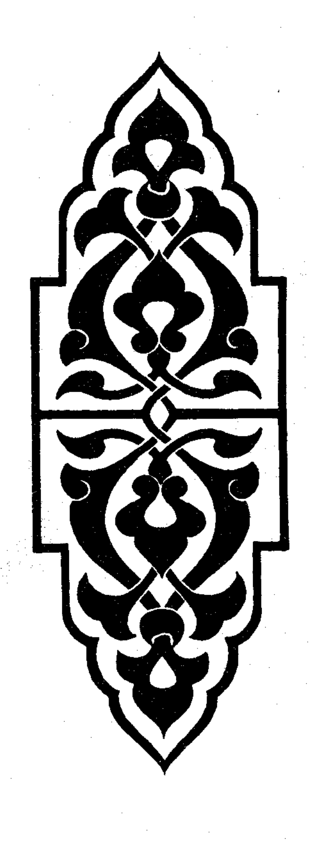
دار الفضيلة



نسيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ (رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا)

الفَاضِلَةُ المُجاهِدَةُ ، صَحَابِيَّةٌ جَلِيلَةٌ وَمُجَاهِدَةٌ كَبِيرَةٌ ، ذَاتُ دِينٍ وَصَلَاحٍ وَنُسُكٍ ، وَاجْتِهَادٍ ، وَاعْتِمَادٍ عَلَى النَّفْسِ .

أَثْنَى عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَهِيَ تُجاهِدُ بالسَّيْفِ ، وَتَضْرِبُ بالرُّمْحِ ، وَتَرْمِى بِالنَّبْلِ فِى مَعْرَكَةِ أُحُدٍ ، فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ : « لَمَقَامُ نسيبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ اليَوْمَ خَيْرٌ مِن مَقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ » [1] .



أَصْلُهَا وَنَسَبُهَا

هِيَ : نسيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ (رَضِيَ الله عنهَا) بنِ عَمْرِو ابنِ عَوْفٍ الأَنْصَارِيَّةُ الخَزْرَجِيَّةُ المَازِنِيَّةُ النَّجَّارِيَّةُ المَدَنِيَّةُ ، وَكُنْيَتُهَا أُمُّ عمارَةَ .

وَالأَنْصَارُ هُمْ أَهْلُ المَدِينَةِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَصَرُوهُ وَوَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِى القُرْآنِ ، وَكَانَ أَهْلُ المَدِينَةِ يَتَكَوَّنُونَ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، فَهِيَ (رَضِيَ الله عَنْهَا) مِنْ أَصْلِ أَهْلِ المَدِينَةِ .

---

(١) أعلام النساء (١٧٣/٥) .

وَالنَّجَّارِيَّةُ [نِسْبَةً إِلَى بَنِى النَّجَّارِ] وَهُمُ الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخْوَالُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ ، وَعِنْدَهُمْ مَاتَ عَبْدُ اللهِ وَالِدُ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) .

وَأُمُّهَا : الرَّبَابُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بنِ حَبِيبِ بنِ زَيْدٍ مِنَ الخَزْرَجِ .

وَأَهْلُ نسيبَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) كُلُّهُم لَهُمْ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِى إِرْسَاءِ أُصُولِ الدِّينِ ، فَأَخُوهَا عَبْدُ اللهِ بنُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهُ) شَهِدَ بَدْراً ، وَعَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ كَعْبٍ أَحَدُ البَكَّائِينَ (رَضِىَ الله عنهُ) (١) .

تَزَوَّجَتْ زَيْدَ بنَ عَاصِمٍ مِن بَنِى النَّجَّارِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللهِ وَحَبِيباً ، وَكَانَ لَهُمَا دَوْرٌ كَبِيرٌ فِى الجِهَادِ وَالْقِتَالِ ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا غُزَيَّةُ بنُ عَمْرِو بنِ عَطِيَّةَ مِن بَنِى النَّجَّارِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ تَمِيماً وَخَوْلَةَ ، وَكُلُّهُم كَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلَصِينَ (رَضِىَ الله عنهُم) .

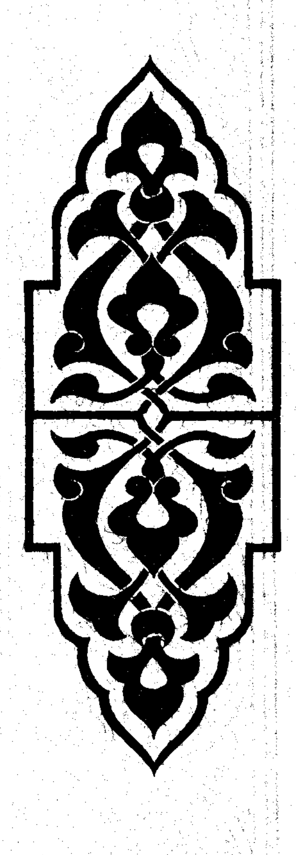
قُــوَّةُ إِيـمَـانٍ

لَمْ تَكُنْ رُؤْيَةُ نسيبَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) للأُمُورِ عَادِية ، بَلْ كَانَتْ تَسْبِقُ عُمْرَهَا ، فَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تَكُن جَاوَزَتِ العَاشِرَةَ إِلَّا أَنَّهَا شَغَلَتْ بَالَهَا بِمَا يَدُورُ فِى مَكَّةَ مِنْ أَحْدَاثٍ تَجْرِى بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الجَدِيدِ ، كَانَتْ تَسْتَمِعُ إِلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ

(١) **البَكَّاءُونَ** : نفر من الأنصار لم يجدوا رواحل يركبونها للاشتراك فى غزوة تَبُوك فانصرفوا يبكون حزناً ، وقد نزل فى حقهم قرآن يتلى .

النَّبِىُّ ﷺ مُعْجَبَةً بِمَبَادِئِهِ وَأُصُولِهِ ، وَلَمْ تَقْنَعْ بِمَا يَنْقلُهُ أَهْلُ المَدِينَةِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَرُؤْيَتِهِمْ ، بَلْ كَانَتْ بِكُلِّ جُرْأَةٍ تَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ المَارِّينَ بِهَا لِلتِّجَارَةِ فَتَسْأَلُهُمْ عَمَّا يَجْرِى فِى مَكَّةَ ، فَكَانُوا يُجَاوِبُونَهَا بِأَفْكَارٍ مُخْتَلِفَةٍ ، لَكِنَّهَا بِعَقْلِهَا النَّاضِج ، وَتَفْكِيرِهَا السَّدِيدِ ، عَرَفَتْ أَنَّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الدِّينُ الجَدِيدُ هُوَ الحَقُّ الَّذِى يَجِبُ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعُهُ .

لَمْ تَكُن (رَضِىَ الله عنهَا) قَدِ الْتَقَتْ بِوَاحِدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ، إِلَّا أَنَّهَا بِصَفَاءِ ذِهْنِهَا ، وَتَوْفِيقِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا وَصَلَتْ إِلَى الإِيمَانِ الصَّحِيحِ ، وَقَوَّى مِنْ عَزِيمَتِهَا ، مَا وَقَعَ مِن تَقَاتُلِ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، ثُمَّ لَجَأَ الخَزْرَجُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى مَكَّةَ ، وَذَلِكَ عَقِبَ (بُعَاث [1]) .



لِقَاءُ الخَزْرَجِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى مَكَّةَ

كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ قَبْلَ العَقَبَتَيْنِ قَد ذَهَبُوا إِلَى مَكَّةَ ، وَفِى نِيَّتِهِم أَن يَلْتَقُوا بِالنَّبِىِّ ﷺ ، وَكَانَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى القَبَائِلِ بِمِنًى ، فَيَذْهَبُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ بِهَا .

---

(١) **بُعَاث** : موضع بالمدينة المنورة تقاتل فيه الأوس والخزرج ، وكانت بينهم مقتلة عظيمة ، ولكن الله سبحانه وتعالى جمعهم بعد ذلك على الإسلام وسموا (الأنصار) .

رَحَّبَ الخَزْرَجُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَجَلَسُوا إِلَيْهِ ، وَدَارَ الحَدِيثُ بَيْنَهُمَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟

قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الخَزْرَجِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمِن مَوَالِى اليَهُودِ ؟

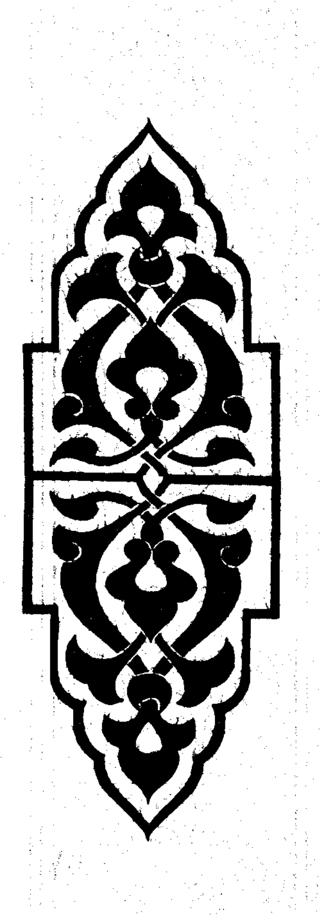
قَالُوا : لَا ، لَسْنَا مِن مَوَالِى اليَهُودِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ ؟

قَالُوا : بَلَى .

فَجَلَسُوا ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ وَقَد هَدَاهُمُ اللهُ لِلْإِسْلَامِ : يَا قَوْم ، تَعْلَمُونَ وَاللهِ إِنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِى تَوَعَّدَكُم بِهِ اليَهُودُ ، فَلَا يَسْبِقُوكُمْ إِلَيْهِ ؛ لِذَلِكَ أَجَابُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ وَصَدَّقُوا بِهِ .



لِقَـاءُ الوَافِـدِينَ

رَجَعَ وَفْدُ الحُجَّاجِ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ مُقَابَلَتِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَكَانَتْ نسيبَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) أَوَّلَ مَنْ قَابَلَ هَذَا الوَفْد ، فَرَاحُوا يَقُصُّونَ عَلَيْهَا مُقَابَلَتَهمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَالحَدِيثَ الَّذِى دَارَ بَيْنَهُمْ ، وَاسْتِمَاعَهمْ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) وَمَا تَلَا

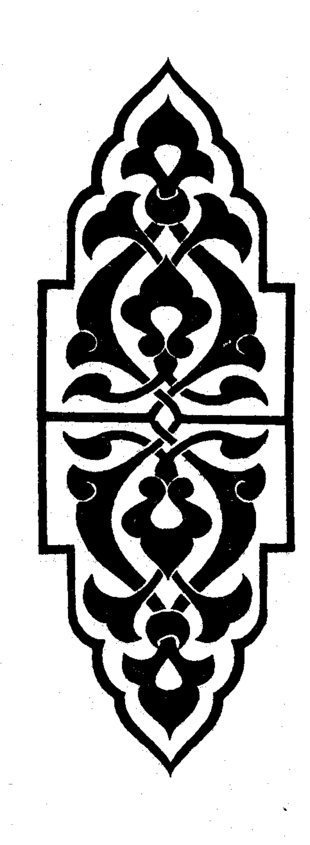
عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ الذِّكْرِ الكَرِيمِ ، وَهِيَ فَرِحَةٌ مَسْرُورَةٌ مُتَتَبِّعَةٌ لِكُلِّ كَلِمَةٍ قَالُوهَا ، وَعَيْنَاهَا تَتَسَاقَطُ مِنْهَا الدُّمُوعُ ، وَتَكَادُ تَطِيرُ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهَا مِن مَعْلُومَاتٍ تُؤَكِّدُ مَا وَقَرَ فِي قَلْبِهَا ، ثُمَّ نَطَقَتْ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَقَالَتْ : « أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ » .

وَجَرَتْ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) إِلَى بَنَاتِ جِنْسِهَا تَقُصُّ عَلَيْهِنَّ مَا سَمِعَتْ وَعَرَفَتْ وَآمَنَتْ بِهِ ، وَتَدْعُوهُنَّ إِلَى الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ هَذَا النَّبِيِّ العَظِيمِ ﷺ ، لأَنَّ فِيهَا سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، لَقَد دَارَتْ نسيبَةُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) عَلَى دُورِ أَهْلِ المَدِينَةِ تَنْشُرُ وَتذِيعُ مَا عَرَفَتْ مِنَ القَوْمِ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ مِن بُيُوتِ المَدِينَةِ إِلَّا وَفِيهِ ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا .

العَقَبَةُ الأُولَى

كَانَتْ نسيبَةُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) عَلَى اسْتِعْدَادٍ تَامٍّ للذَّهَابِ إِلَى مَكَّةَ فِي مَوسِمِ الحَجِّ الَّذِي أَعْقَبَ مَوسِمَ اللِّقَاءِ الأَوَّلِ ، فَرَاحَتْ تَسْأَلُ عَنِ الَّذِينَ سَيَذْهَبُونَ فِي هَذَا العَامِ ، فَاتَّصَلَتْ بِهِمْ ، وَكَانُوا اثْنَى عَشَرَ نَقِيباً مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ .

لَقَد رَجَتْهُم نسيبَةُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) أَن يَأْخُذُوهَا مَعَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمُ اعْتَذَرُوا عَنْ أَخْذِهَا وَحْدَهَا إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَهَا أُخْرَى ، فَرَاحَتْ تَبْحَثُ عَمَّنْ تَذْهَبُ مَعَهَا ،



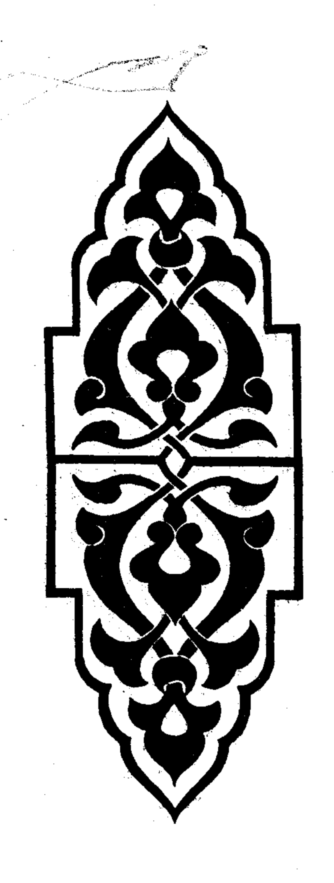
وَلَكِنَّهَا لَمْ تُوَفَّقْ ، فَبَقِيَتْ بِالمَدِينَةِ وَالحُزْنُ قَد اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَأْمُلُ أَن يَعُودُوا وَيَأْتُوهَا بِأَخْبَارٍ تُقَوِّى مِنْ عَزِيمَتِهَا ، وَتَزِيدُ مِن مَعْلُومَاتِهَا ، وَتَمْلأُ فَرَاغَ قَلْبِهَا .

عَادَ الوَفْدُ وَكَانَ عَدَدُهُ اثْنَىْ عَشَرَ رَجُلًا بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى أَلَّا يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً ، وَلَا يَسْرِقُوا ، وَلَا يَزْنُوا ، وَلَا يَقْتُلُوا أَوْلَادهُمْ ، وَلَا يَأْتُوا بِبُهْتَانٍ يَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصُونَهُ فِى مَعْرُوفٍ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَإِن وَفَّيْتُم فَلَكُمُ الجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشَيْتُم شَيْئاً فَأُخِذْتُم بِحَدِّهِ فِى الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَإِن سُتِرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ »(١).

رَجَعَ أَصْحَابُ العَقَبَةِ الأُولَى إِلَى المَدِينَةِ ، وَكَانَ عَدَدُهُم اثْنَىْ عَشَرَ : اثْنَيْنِ مِنَ الأَوْسِ ، وَعَشَرَةً مِنَ الخَزْرَجِ ، نَشَرُوا الإِسْلَامَ فِى بُيُوتِهِمْ ، وَأَصْبَحَ حَدِيثُ النَّاسِ عَمَّا يَجْرِى فِى مَكَّةَ مِن تَعَصُّبِهِمْ ضِدَّ الدَّعْوَةِ الجَدِيدَةِ ، وَإِيذَائِهِمْ لِلنَّبِىِّ ﷺ وَصَبْرِهِ عَلَيْهِمْ ، وَقُوَّةِ احْتِمَالِهِ عَلَى مَا يُلَاقِيهِ مِنْ إِهَانَةٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ .

اسْتَمَعَتْ نسيبَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) إِلَى مَا يَقُصُّونَهُ



---

(١) راجع : البداية (٣/١٥٠ - ١٥٣) .

عَلَيْهَا مِن قَصَصٍ عَجِيبٍ مِمَّا يَدُورُ بَيْنَ سَادَاتِ مَكَّةَ الـمُتَعَنِّتِينَ وَالنَّبِيِّ الَّذِى يُجَاهِدُ بِالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

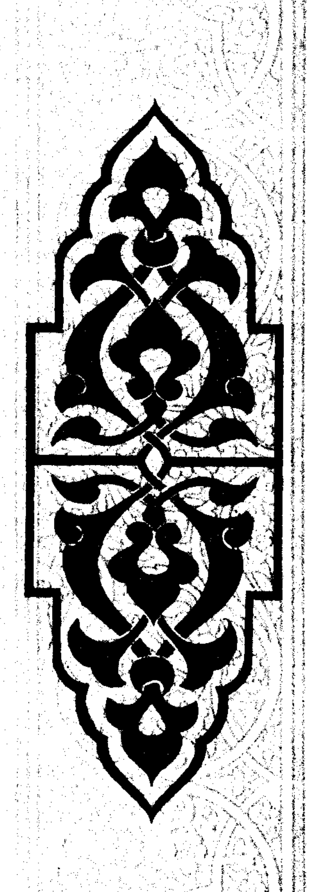
كَانَ حِينَمَا يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ تَأْخُذُهُم نَشْوَةٌ عَجِيبَةٌ مِمَّا يَسْمَعُونَ مِنْ أَفْكَارٍ لَمْ يَسْمَعُوهَا مِن قَبْلُ بِأُسْلُوبٍ مُرَتَّبٍ مُنَظَّمٍ ، وَلَكِنْ مَا تَكَادُ تَمُرُّ لَحَظَاتٌ قَلِيلَةٌ إِلَّا وَيَرْجِعُونَ إِلَى تَعَنُّتِهِمْ وبُغْضِهِمْ وَحِقْدِهِمْ ، وَإِن كَانُوا يُصَدِّقُونَهُ فِى قَرَارَةِ نُفُوسِهِمْ .

لَقَد حَكَوْا كَثِيراً عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الصَّابِرِينَ الـمُكَافِحِينَ الَّذِينَ يَزْدَادُ إِيمَانُهُمْ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ، يَدْفَعُونَ أَعْدَاءَ الدَّعْوَةِ بِالحُجَّةِ وَالمَنْطِقِ وَالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ، لَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ اسْتِعْمَالَ القُوَّةِ ، لِضَعْفِهِمْ .

كَانَتْ نَسِيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) تُنْصِتُ إِنْصَاتاً شَدِيداً لِكُلِّ كَلِمَةٍ تَسْمَعُهَا ، وَالدُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيهَا ، وَتَتَمَنَّى أَن تَنْتَقِلَ إِلَى مَكَّةَ لِتُشَارِكَ الـمُسْلِمِينَ فِى تَحَمُّلِهِمْ لِلْعَذَابِ ، وَفَرَحِهِمْ بِمَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ .

كَانَتْ تَرَى أَنَّ نَصْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَرِيبٌ ، وَأَنَّ الدَّعْوَةَ سَوْفَ تَنْتَشِرُ فِى أَنْحَاءِ البِلَادِ .

كَانَتْ تَحْرِصُ عَلَى حِفْظِ آيَاتِ القُرْآنِ وَتَرْدِيدِهَا ، وَمَعْرِفَةِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَتَنْتَظِرُ السَّاعَةَ الَّتِى تَلْقَى فِيهَا النَّبِىَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ .



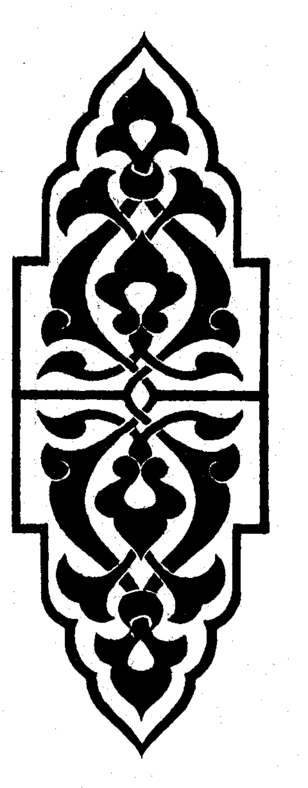
دَاعِيَـةُ الـمَـدِينَـةِ

بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى ، وَاسْتِمَاعِ أَهْلِ المَدِينَةِ إِلَى الَّذِينَ قَابَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَادُوا بِمَا سَمِعُوا وَعَرَفُوا عَنِ الإِسْلَامِ ، وَتَشَوُّقِهِمْ إِلَى أَن يَعْرِفُوا عَنِ الإِسْلَامِ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِضِيقِ الوَقْتِ الَّذِى أَقَامُوهُ فِى مَكَّةَ .

أَرْسَلُوا رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَكَتَبُوا لَهُ كِتَاباً يَقُولُونَ فِيهِ : (ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا يُفَقِّهُنَا فِى الدِّينِ ، وَيُقْرِئُنَا القُرْآنَ) .

تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذَا الكِتَابَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَرَى مَنْ هُوَ عَلَى أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ المُهِمَّةِ ، فَكَانَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ مِنْ أَشَدِّ المُتَحَمِّسِينَ للذَّهَابِ إِلَى المَدِينَةِ وَهُوَ مِنَ الأَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُم ، وَالَّذِى قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَداً أَحْسَنَ لُبًّا ، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً [1] ، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِن مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ » .

وَصَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ إِلَى المَدِينَةِ ، وَنَزَلَ عَلَى سَعْدِ بنِ زُرَارَةَ ، ثُمَّ بَدَأَ يَنْشُرُ رِسَالَةَ الإِسْلَامِ ، فَكَانَتْ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) أَوَّلَ مَنِ التَقَتْ بِمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، وَاسْتَمَعَتْ إِلَيْهِ ، وَوَعَتْ كُلَّ



---

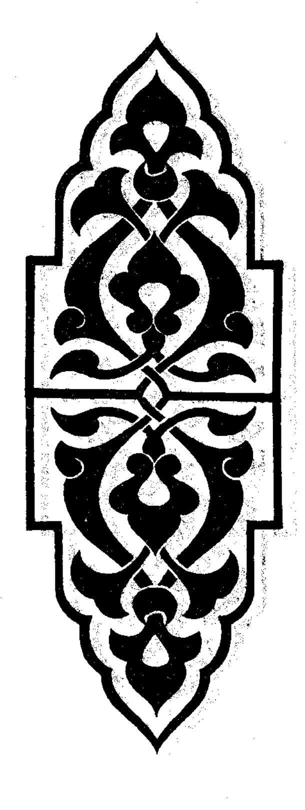
(١) **الحُلَّةُ** : الثَّوبُ الجيدُ الجديدُ .

مَا قَالَهُ عَنِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِى مَكَّةَ ، لَقَد فَرِحَتْ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهَا مِن مَعْلُومَاتٍ ، لَكِنَّهَا فِى شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى أَن تَزْدَادَ مِنْ هَذَا المَنبَعِ المَمْلُوءِ بخَيْرَى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

كَانَ مُصْعَبُ يَأْتِى الأَنْصَارَ فِى دُورِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ فَيَدْعُوهُم إِلَى الإِسْلَامِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِمْ مَا حَفِظَ مِنَ القُرْآنِ ، فَيُسْلِمُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ حَتَّى ظَهَرَ الإِسْلَامُ وَانْتَشَرَ فِى دُورِ الأَنْصَارِ كُلِّهَا ، فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِى أَن يُصَلِّى بِهِمُ الجُمُعَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ فِى الإِسْلَامِ جُمُعَةً(١) .

مُصْعَبُ مَعَ السَّابِقِينَ الوَافِدِينَ إِلَى مَكَّةَ

ثُمَّ خَرَجَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ مَعَ السَّابِقِينَ الَّذِينَ وَفَدُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيهِمْ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) فِى العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ ، فَقَدِمَ مَكَّةَ وَذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَن يَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ أُمِّهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ رَسُول اللهِ ﷺ عَنِ الأَنْصَارِ ، وَسُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ إِلَى الإِسْلَامِ ، وَاسْتِبْطَائِهِمْ قُدُومَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَسُرَّ الرَّسُولُ ﷺ بِذَلِكَ .



---

(١) راجع : البداية (٣/١٥١ - ١٥٣) .

وَعَلِمَتْ أُمُّ مُصْعَبٍ بِوُصُولِ ابْنِهَا ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : يَا عَاقُّ ! أَتَقْدِمُ بَلَداً أَنَا فِيهِ ، لَا تَبْدَأُ بِي ؟

قَالَ مُصْعَبٌ : لَا أَبْدَأُ بِأَحَدٍ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

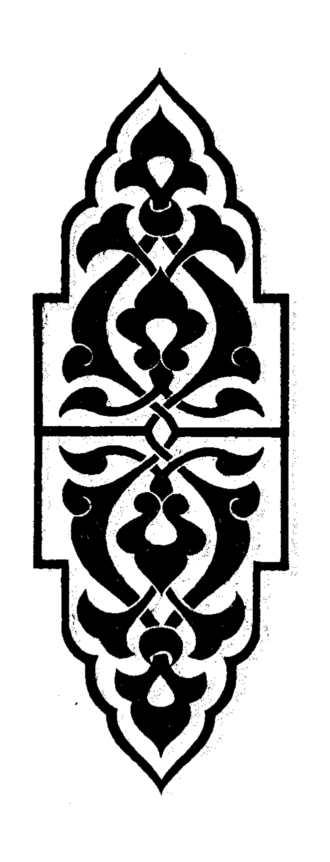
العَقَبَةُ الثَّانِيَةُ

صَمَّمَتْ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) عَلَى أَن تَحْضُرَ البَيْعَةَ فِي عَامِهَا المُقْبِلِ مَهْمَا يَكُن مِن مَخَاطِرَ لِتَرَى صَاحِبَ الدَّعْوَةِ ﷺ ، وَلِتَسْتَمِعَ إِلَى حَدِيثِهِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الإِسْلَامِ ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَإِذَا كَانَ أَهْلُ المَدِينَةِ امْتَنَعُوا أَن يَأْخُذُوهَا لأَنَّهَا المَرْأَةُ الوَحِيدَةُ فِي رِحْلَتِهِمْ ، فَقَدِ اتَّفَقَتْ مَعَ مُسْلِمَةٍ أُخْرَى لِتَذْهَبَ مَعَهَا وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بنِ عَدِيٍّ بنِ نَابِي أُمُّ مَنِيعٍ ... وَوَصَلَ عَدَدُ الرِّجَالِ إِلَى ثَلَاثَةٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الخَزْرَجِ وَالأَوْسِ .

كَانَتْ نَسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) سَعِيدَةً جِدًّا ، وَوَصَلَتْ مَعَ القَوْمِ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَ لَا يَشْغَلُهُمْ شَاغِلٌ إِلَّا اللِّقَاءُ بِصَاحِبِ الدَّعْوَةِ ﷺ ، وَتَتَعَجَّلُ الأَيَّامَ وَالسَّاعَاتِ لِتَلْتَقِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ .

تَوَاعَدَ القَوْمُ وَكَانَ المِيعَادُ بَعْدَ مُضِيِّ ثُلُثِ اللَّيْلِ ، وَخَرَجُوا مُسْتَخْفِينَ حَتَّى اجْتَمَعُوا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ العَقَبَةِ .

اجْتَمَعُوا يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ نَسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) حَتَّى جَاءَ



رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمُّهُ ، فَقَد أَحَبَّ أَن يَحْضُرَ مَعَ ابنِ أَخِيهِ ﷺ لِيَتَوَثَّقَ لَهُ !

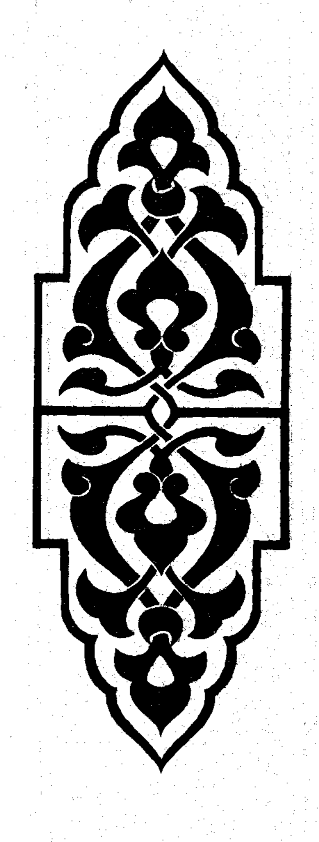
سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ ... إِنَّ مُحَمَّداً مِنَّا حَيْثُ عَلِمْتُم ، وَقَد مَنَعْنَاهُ مِن قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ ، فَهُوَ فِى عِزٍّ مِن قَوْمِهِ ، وَمَنَعَةٍ فِى بَلَدِهِ ، وَإِنَّهُ قَد أَبى إِلَّا الانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ ، واللُّحُوقَ بِكُمْ ، فَإِن كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَأَنْتُم وَمَا تَحَمَّلْتُم مِن ذَلِكَ ، وَإِن كُنْتُم تَرَوْنَ أَنَّكُم مُسلمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الخُرُوجِ إِلَيْكُم ، فَمِنَ الآنَ فَدَعُوهُ ، فَإِنَّهُ فِى عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِن قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ .

أَجَابَ القَوْمُ فَقَالُوا لَهُ : قَد سَمِعْنَا مَا قُلْتَ ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ ...

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَكَلَّمُ

تَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَتَلَا القُرْآنَ ، وَدَعَا إِلَى اللهِ ، وَرَغَّبَ فِى الإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ : « أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَن تَمْنَعُونِى مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ »[(١)] .

فَأَخَذَ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ مَحَارِمَنَا ،



---

(١) أخرجه أحمد (٤٦١/٣) .

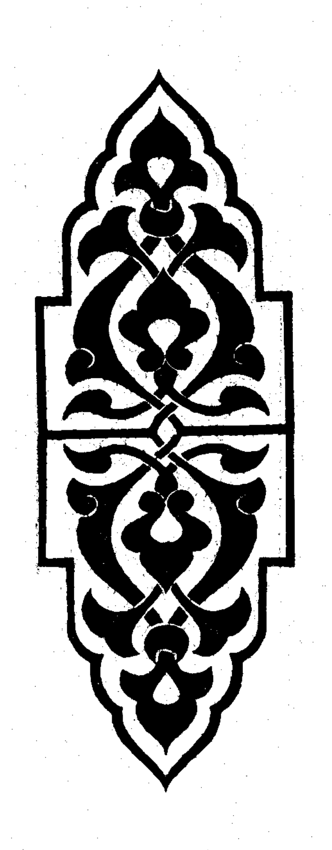
فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، فَنَحْنُ وَاللهِ أَهْلُ الحُرُوبِ ، وَأَهْلُ الحَلْقَةِ ، وَرِثْنَاهَا كَابِراً عَن كَابِرٍ ...

وَتَكَلَّمَ الهَيْثَمُ بنُ التَّيْهَانِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ... إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ (يَقْصِدُ يَهُودَ المَدِينَةِ) حِبَالًا ، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا ، فَهَلْ عَسَيْتَ إِن نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَن تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا ؟

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : « بَلِ الدَّمَ الدَّمَ وَالهَدْمَ الهَدْمَ ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّى ، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ ، وَأُسَالِمُ مَن سَالَمْتُم ! ... » .

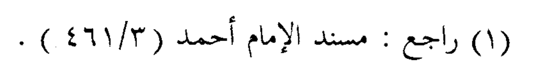
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُم اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً ؛ لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ »(١) .

فَكَانَ أَوَّلَ مَن ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ ، ثُمَّ بَايَعَ القَوْمُ .



فَرْحَةٌ وَسَعَادَةٌ

تَقُولُ نسيبَةُ بنْتُ كَعْبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : كَانَتِ الرِّجَالُ تُصَفِّقُ عَلَى يَدَىْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ ، وَالعَبَّاسُ آخِذٌ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا بَقَيْتُ أَنَا وَأُمُّ مَنِيعٍ ، نَادَى زَوْجِى غُزَيَّةُ بنُ عَمْرٍو : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَاتَانِ امْرَأَتَانِ حَضَرَتَا مَعَنَا تُبَايِعَانِكَ ،



(١) راجع : مسند الإمام أحمد (٣/٤٦١) .

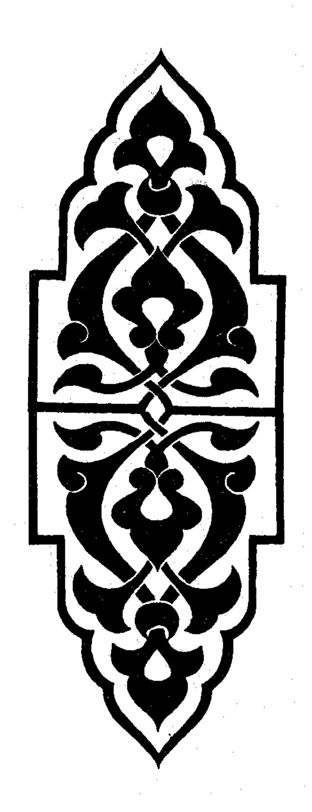
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَد بَايَعْتُهُمَا عَلَى مَا بَايَعْتُكُم عَلَيْهِ ... إِنِّى لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ ... » [١] .

لَقَد سَعِدَتْ نسيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عِمَارَة (رَضِىَ الله عنهَا) بِهَذِهِ البَيْعَةِ سَعَادَةً لَمْ تَسْعَدْ بِهَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا هِىَ وَأُمُّ مَنِيع الَّتِى حَضَرَتْ مَعَهَا هَذَا المُؤْتَمَرَ الخَالِدَ ، وَالَّذِى لَهُ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ فِى قُلُوبِ المُسْلِمِينَ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ وَالأَيَّامِ ، لَقَد رَأَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَبَايَعَهَا عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ قَوْمَهَا وَهِىَ شَهَادَةٌ وَوِسَامٌ لَا تَجِدُ لَهُ ثَوَاباً إِلَّا مِنَ المَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ فِى الحَيَاةِ الآخِرَةِ ، وَهِىَ الحَيَاةُ الخَالِدَةُ البَاقِيَةُ .

الهِجْـرَةُ

كَانَ مِنْ أَسْبَابِ التَّضْيِيقِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَمَنْعِهِ مِن مُغَادَرَةِ مَكَّةَ مُبَايَعَةُ أَهْلِ يَثْرِبَ (المَدِينَة) لَهُ ، حَتَّى وَقَرَ فِى أَفْهَامِ المُشْرِكِينَ أَنَّهُ سَيُهَاجِرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ إِلَّا مُحَاوَلَةُ قَتْلِهِ ، وَشَرَعُوا فِى ذَلِكَ بِاخْتِيَارِ فِتْيَان مِن كُلِّ قَبِيلَةٍ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ بَنُو هَاشِمٍ قِتَالَ هَؤُلَاءِ القَبَائِلِ ، فَتَتَوَزَّعُ دِيَتُهُ عَلَى الجَمِيعِ .

وَلَكِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَيَّبَ ظُنُونَهُم وَأَوْهَامَهُمْ ، وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ، وَحَزّتْ هِجْرَتُهُ فى نُفُوسِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، وَعَزَّ عَلَيْهِمْ أَن تَنْهَارَ خُطَّتُهُم ، وَتُحْبَطَ

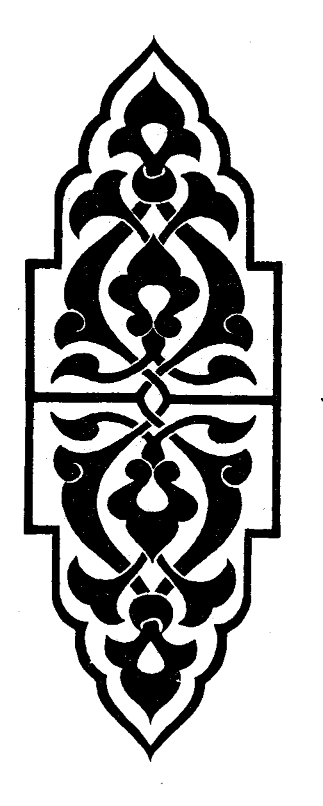


(١) رواه أحمد (٢١٣/٢) .

مُؤَامَرَتُهُمْ ، فَقَد كَانُوا يُرِيدُونَ أَن تَظَلَّ دَعْوَتُهُ مَحْصُورَةً بَيْنَ شِعَابِ مَكَّةَ حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِنَ القَضَاءِ عَلَيْهَا ... وَجَعَلَتْ لِمَن يَعْتَقِلُ مُحَمَّداً ﷺ أو يَرْجِعُ بِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ حَيًّا أَوْ مَيِّتاً مِائَةَ نَاقَةٍ .

ظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَفِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَقِيَا خِلاَلَهَا مَا أَجْهَدَهُمَا مِنْ حَرِّ الهَجِيرَةِ[1] وَقِلَّةِ الزَّادِ وَمَشَقَّةِ الطَّرِيقِ الَّذِى يَسِيرَانِ فِيهِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ .

وَصَلَ الصَّاحِبَانِ إِلَى قباءَ وَهِىَ عَلَى مَدْخَلِ يَثْرِبَ (المَدِينَة) ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا المُسْلِمُونَ يُحَاوِلُونَ أَن يَقْتَرِبُوا مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ ... لَقَد أَحَاطُوا بِهِ وَبِصَاحِبِهِ ، وَوَقَفَتْ مَعَهُم امْرَأَةٌ فَارِعَةُ الطُّولِ يَشِعُّ مِنْ عَيْنَيْهَا بَرِيقُ العَزْمِ وَالإِيمَانِ ، وَقَفَتْ وَفِى يَدَيْهَا المَاءُ وَالطَّعَامُ تُقَدِّمُهُ للرَّسُولِ ﷺ وَصَاحِبِهِ مُرَحِّبَةً شَاكِرَةً الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِهِ وَحِفْظِهِ وَعِنَايَتِهِ .



بُطُولَةٌ نِسَائِيَّةٌ

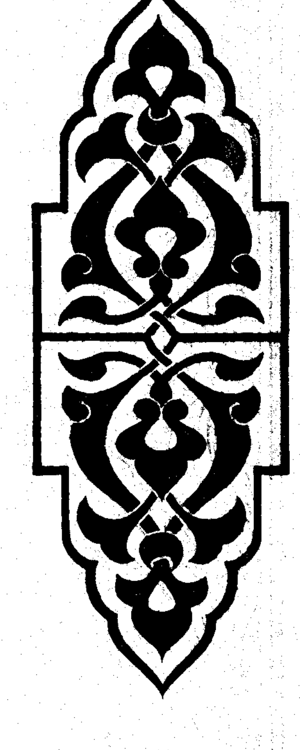
الْتَقَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ مَعَ تَجَمُّعَاتِ مُشْرِكِى مَكَّةَ فِى غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَكَانَ نَصْرُ اللهِ لِلْمُسْلِمِينَ عَظِيماً ، وَدَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى المُشْرِكِينَ ، وَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِن مَشَاهِيرِهِمْ وَأَبْطَالِ رِجَالِهِمْ

---

(١) **الهَجِيرَةُ** : نصف النهار عند اشتداد الحر .

الـمَعْدُودِينَ، وَأُسِرَ مِنْهُم مَنْ أُسِرَ، وَأَسْرَعَتْ قُرَيْشٌ لِتَفْتَدِى أَسْرَاهَا وَحَرَّمَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ الطِّيبَ ، والدُّهنَ حَتَّى يَثْأَرَ أَزْوَاجُهُنَّ مِن مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ .

وَبَدَأُوا فِى الاسْتِعْدَادِ لِمَعْرَكَةٍ قَرِيبَةٍ ، فَكَانَتْ مَكَّةُ مَنْطِقَةَ تَدْرِيبٍ بالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَالنَّبْلِ حَتَّى أَتَمُّوا عُدَّتَهُمْ ، وَعَدَدُهُمْ وَصَلَ إِلَى ثَلاَثَةِ آلافٍ ، وَظَلُّوا فِى سَيْرِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى جَبَلِ أُحُدٍ القَرِيبِ مِنَ المَدِينَةِ ، وَمَعَهُمُ النِّسَاءُ ، وَعَلَى رَأْسِهِنَّ هِنْدُ زَوْجُ أَبِى سُفْيَانَ وَهِىَ أَشَدُّهُنَّ حِرْصاً عَلَى الأَخْذِ بالثَّأْرِ ، فَقَد قُتِلَ فِى بَدْرٍ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَأَعَزُّ النَّاسِ عَلَيْهَا .



مُعَسْكَرُ المُسْلِمِينَ

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى المُسْلِمِينَ فَعَسْكَرَ قُرْبَ أُحُدٍ ، الجَبَلُ خَلْفَهُ وَالأَعْدَاءُ أَمَامَهُ ...

وَجهَّزَ الرَّسُولُ القَائِدُ ﷺ خَمْسِينَ رَامِياً بالسِّهَامِ لِيَحْمِى جَيْشَ المُسْلِمِينَ مِنْ أَن يَأْتِى العَدُوُّ مِنَ الخَلْفِ مِن قِبل الجَبَلِ ، وَنَبَّهَ عَلَى هَؤُلَاءِ الرُّمَاةِ أن لَا يَتْرُكُوا أَمَاكِنَهُمْ ، مَهْمَا كَانَ المَوْقِفُ مِن نَصْرٍ أَوْ هَزِيمَةٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ...

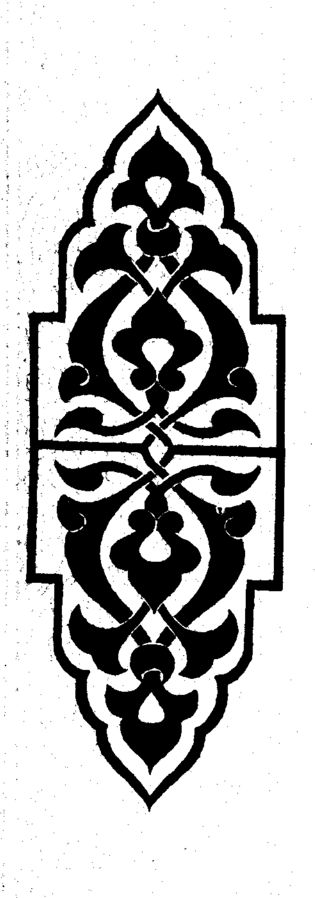
وَدَارَتْ رَحَى الحَرْبِ (١) وَهَبَّتْ رِيحُ النَّصْرِ مَعَ المُسْلِمِينَ ... وَانْهَزَمَ الأَعْدَاءُ ... وَأَخَذُوا فِى الهَرَبِ ...

---

(١) أى قامت ونشبت .

وَلَاحَقَهُمُ الجَيْشُ ... قَتْلًا وَضَرْباً ... وَأُتِيحَتِ الغَنِيمَةُ لِلْمُسْلِمِينَ فَانْصَرَفُوا إِلَيْهَا .

رَأَى الرُّمَاةُ إِخْوَانَهُمْ مِن جَيْشِ المُسْلِمِينَ يَنْتَهِزُونَ الفُرْصَةَ لِيَسْتَوْلُوا عَلَى الغَنَائِمِ ، فَتَاقَتْ أَنْفُسُهُم لِيَكُونُوا مِثْلَهُمْ ، فَتَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ ، وَانْشَغَلُوا بالاسْتِيلَاءِ عَلَى الغَنَائِمِ ، بالرَّغْمِ مِن تَشْدِيدِ النُّصْحِ بِأَلَّا يَتْرُكُوا أَمَاكِنَهُم .



قَائِدُ الخَيَّالَة

كَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ لَا يَزَالُ عَلَى الشِّرْكِ ، وَقَد تَوَلَّى قِيَادَةَ الخَيَّالَةِ ، وَرَأَى خُلُوَّ أَمْكِنَةِ الرُّمَاةِ المُسْلِمِينَ ، فَانْتَهَزَ الفُرْصَةَ ، وَقَامَ مَعَ رِجَالِهِ بِحَرَكَةِ الْتِفَافٍ مِنَ الخَلْفِ ... وَقَتَلَ مَن بَقِيَ مِنَ الرُّمَاةِ ، وَفَاجَأَ المُسْلِمِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ ... فَتَحَوَّلَ النَّصْرُ إِلَى هَزِيمَةٍ . وَاشْتَدَّ القَتْلُ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ ، وَطَلَبَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ النَّجَاةَ ... وَتَفَرَّقَ الرِّجَالُ الَّذِينَ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا القَلِيلَ القَلِيلَ ... وَصَاحَ مِنَ الكُفَّارِ مَنْ يَقُولُ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ... قُتِلَ مُحَمَّدٌ ... فَاشْتَدَّ الهَلَعُ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ ، وَرَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَا دَاعِيَ لِلْحَرْبِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، بَيْنَمَا بَعْضُ المُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ ثَابِتِينَ ...

لَقَد تَأَزَّمَ المَوْقِفُ ، وَشَعَرَ المُسْلِمُونَ بِالْحُزْنِ العَمِيقِ ، وَالحَرَجِ الشَّدِيدِ وَدَارَتْ بِهِمُ الأَرْضُ ، وَطَلَبُوا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النَّجَاةَ ... إِلَّا نَسِيبَةَ أُمَّ عِمَارَةَ

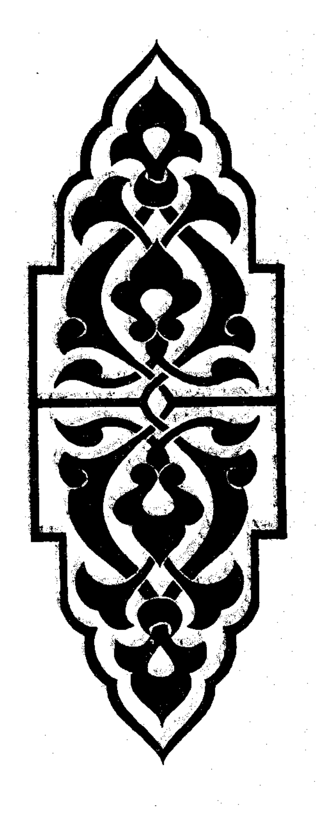
(رَضِىَ الله عنهَا) فَقَد اتَّخَذَتْ مَوْقِفاً بُطُولِيًّا يُحْسَبُ لَهَا عِنْدَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ .

قَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : (خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أُحُدٍ ، وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ ، وَمَعِىَ سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ فِى أَصْحَابِهِ ، وَالدَّوْلَةُ (١) وَالرِّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ ...

فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلْتُ أُبَاشِرُ الْقِتَالَ ، وَأُدَافِعُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ ، وَأَرْمِى عَنْهُ الْقَوْسَ حَتَّى خَلُصَتْ إِلَىَّ الجِرَاحُ ...) .

رَأَى النَّبِىُّ ﷺ رَجُلًا مُوَلِّياً مَعَهُ تِرْسٌ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « يَا صَاحِبَ التِّرْسِ ، أَلْقِ تِرْسَكَ إِلَى مَنْ يُقَاتِلُ » .

فَأَلْقَى تِرْسَهُ فَأَخَذَتْهُ نسيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) فَجَعَلَتْ تَتَرَّسُ (٢) بِهِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ ... فَأَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ فَضَرَبَ نسيبَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) فَتَرَّسَتْ لَهُ ، فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئاً ، وَوَلَّى فَضَرَبَتْ عُرْقُوبَ (٣) فَرَسِهِ ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَأَخَذَ النَّبِىُّ



---

(١) **الدَّوْلَةُ** : الاستيلاء والغلبة .

(٢) **تَتَرَّسُ** : أى تتوقى وتدافع .

(٣) **العُرْقُوبُ من الدَّابة** : ما يكون فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها .

(عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) يَقُولُ : يَا ابْنَ أُمِّ عِمَارَةَ أُمّكَ ، أُمّكَ .

فَخَفَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدِ بن عَاصِمٍ إِلَى أُمِّهِ يُعَاوِنُهَا حتَّى قَتَلَاهُ .

وَقَالَتْ أُمُّ عِمَارَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) : لَوْ كَانُوا رِجَالًا مِثْلَنَا أَصَبْنَاهُمْ إِن شَاءَ اللهُ .

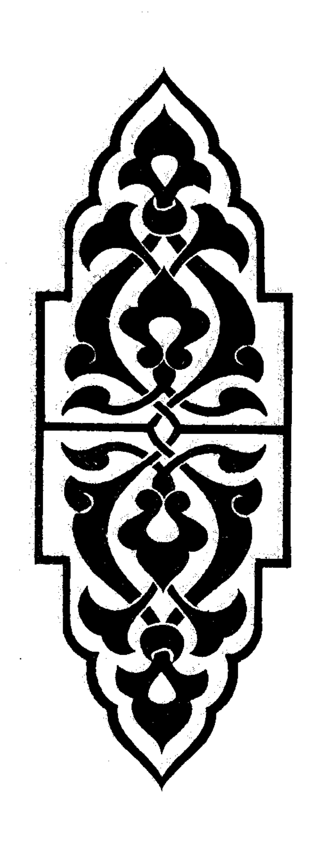
وَرَاحَ ابنُ نسيبَةَ (رَضِىَ الله عَنْهُمَا) يَصُولُ وَيَجُولُ حَتَّى ضَرَبَهُ رَجُلٌ فَجُرِحَ عَبْدُ اللهِ (رَضِىَ الله عنهُ) فِى عَضُدِهِ الأَيْسَر ، وَجَعَلَ الدَّمُ يَنْزِفُ لَا يَرْقأ (١) ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ (رَضِىَ الله عنهُ) : « اعْصِبْ جُرْحَكَ » .

فَأَقْبَلَتْ أُمُّهُ (رَضِىَ الله عنهَا) إِلَيْهِ وَمَعَهَا عَصَائِبُ ، قَد أَعَدَّتْهَا لِلْجِرَاحِ فَرَبَطَتْ جُرْحَ ابْنِهَا ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ يَنْظُرُ إِلَيْهَا .

فَقَالَتْ لابْنِهَا (رَضِىَ الله عنهما) : انْهَضْ بُنَىَّ فَضَارِبِ القَوْمَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَن يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عِمَارَةَ ؟ » .

وَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِى ضَرَبَ عَبْدَ اللهِ ابنَ أُمِّ عِمَارَة ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لنسيبَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) :



---

(١) أى لا يلتئم الجرح .

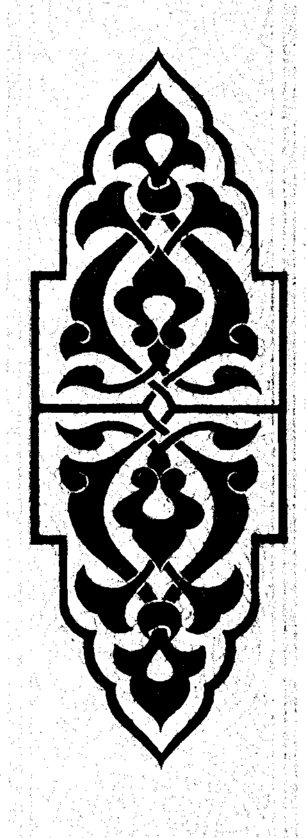
« هَذَا ضَارِبُ ابْنَكِ »[١] .

فَاعْتَرَضَتْ نَسيبَةُ (رَضِيَ الله عنهَا) لَهُ ، فَضَرَبَتْ سَاقَهُ فَبَرَكَ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى رَأَتْ نَوَاجِذَهُ وَقَالَ : « اسْتَقْدَدْتِ يَا أُمَّ عِمَارَةَ ! » .

ثُمَّ أَقْبَلَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ يَعْلُونَهُ بالسِّلَاحِ ...

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُمِّ عِمَارَةَ : « الحَمْدُ لله الَّذِى أَظْفَركِ ، وَأَقَرَّ عَيْنَكِ مِنْ عَدُوِّكِ ، وَأَرَاكِ ثَأْرَكِ بِعَيْنَيْكِ »[٢] .

ابنُ قَمِيئَة يَضْرِبُ نَسيبَةَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)



رَاحَتْ نسيبَةُ وَأَبْنَاؤُهَا (رَضِىَ الله عنهُم) يُدَافِعُونَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَقْبَلَ ابنُ قَمِيئَةَ يَصِيحُ : دُلُّونِى عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَلَا نَجَوْتُ إن نَجَا .

فَاعْتَرَضَ لَهُ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وَنَسيبَةُ ، وَحَبِيبُ ابنُ زَيدٍ ابنُهَا (رَضِىَ الله عنهُم) ، فَضَرَبَ ابنُ قَمِيئَةَ نسيبَةَ بنت كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) عَلَى عَاتِقِهَا بِسَيْفِهِ فَصَنَعَ جُرْحاً لَهُ غَوْرٌ أَجْوَفُ ، وَلَكِنَّهَا أَخذَتْ تَضْرِبُهُ ضَرَبَاتٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ ، فَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ تِلْكَ الضَّرَبَاتُ .

---

(١) انظر : ابن سعد (٣٠٢/٨) .
(٢) انظر : البداية والنهاية (٩/٤ - ٤٨) .

وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى فَرَسٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بنِ زَيْدِ بنِ عَاصِمٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : أَنْتَ ابنُ أُمِّ عِمَارَةَ ؟

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ (رَضِىَ الله عنهُ) : نَعَمْ يَا رَسُولَ الله .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ارْمِ ...

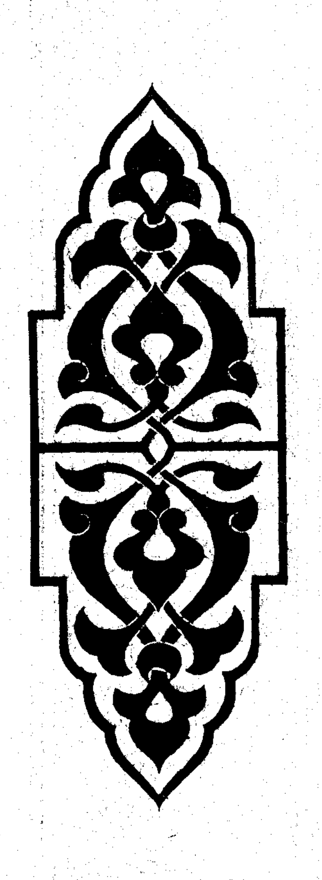
فَرَمَى عَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ (رَضِىَ الله عنهُ) بَيْنَ يَدَيْهِ الرَّجُلَ الَّذِى كَانَ عَلَى فَرَسٍ بِحَجَرٍ فَأَصَابَ عَيْنَ الفَرَسِ ، فَاضْطَرَبَ ، وَوَقَعَ هُوَ وَصَاحِبُهُ ... ، وَنَظَرَ نَحْوَهُمَا وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَشَارَ إِلَى جُرْحِ نَسيبَةَ بنت كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) وَقَالَ : أُمَّكَ أُمَّكَ اعْصِبْ جُرْحَهَا ، بَارَكَ الله عَلَيْكُم أَهْلَ البَيْتِ ، مَقَامُ أُمِّكَ خَيْرٌ مِن مَقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، رَحِمَكُمُ الله أَهْلَ البَيْتِ .

قَالَتْ أُمُّ عِمَارَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) : يَا نَبِىَّ الله ! ادْعُ الله أَن نُرَافِقَكَ فِى الجَنَّةِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رُفقَائِى فِى الجَنَّةِ » .

فَقَالَتْ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِى الله عنهَا) : مَا أُبالِى مَا أَصَابَنِى فِى هَذِهِ الدُّنْيَا [١] .

★ ★ ★



(١) راجع : البداية (٤/٩ - ٤٨) .

نسـيـبَةُ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنْهَا)
وَالنَّبِـىُّ ﷺ

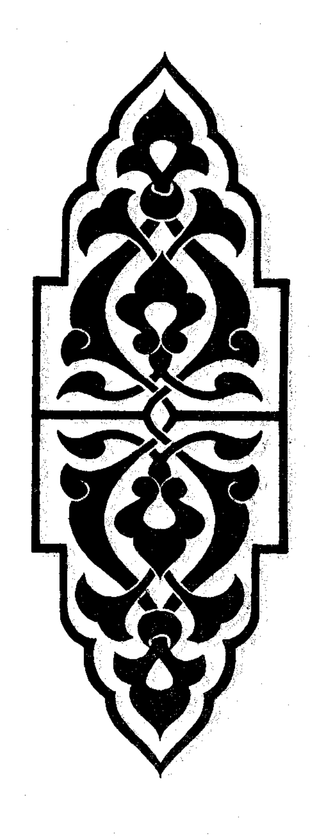
وَلَـمَّا انْتَهَتْ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ ، وَمَشَى مُشْرِكُو مَكَّةَ ، وَقَد ابْتَعَدُوا عَن الـمَدِينَةِ ، أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن يُبَيِّنَ لِلْعَـدُوِّ أَنَّ بالـمُسْلِمِينَ قُوَّةً ، وَأَنَّـهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُقَـاتِلُوا إِذَا كَانَ فِى نِيَّتِهِمُ الغَدْرُ .

أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن يُنَـادَى فِى النَّـاسِ بالغَزْوِ وَقَالَ : لَا يَخْرُجْ مَعَنَا إِلَّا مَن حَضَرَ بالأَمْسِ .

لَمْ تَسْتَطِعْ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) أَن تَخْرُجَ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فقَد شَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، فَمَا اسْتَطَاعَتْ مِن نَزْفِ الدَّمِ ، وَقَضَتْ لَيْلَتهَا تكمدُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جُرْحاً حَتَّى أَسْفَرَ الصُّبْحُ .

وَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ المَدِينَةِ يُسَمَّى (حَمْرَاءُ الأَسَد) فَبَقِىَ فِيهِ وَقْتاً ، وَلَـمَّا عَلِمَ أَنَّ المُشْرِكِينَ قَدِ اتَّجَهُوا إِلَى مَكَّةَ ، رَجَعَ بِمَن مَعَـهُ إِلَى المَدِينَةِ .

كَانَ أَوَّلُ عَمَلٍ لَهُ أَن سَأَلَ عَنْ أُمِّ عِمَـارَةَ نَسيبَةَ بنتِ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَـا) ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّـهَا بِخَيْرٍ ، فَسُرَّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) .

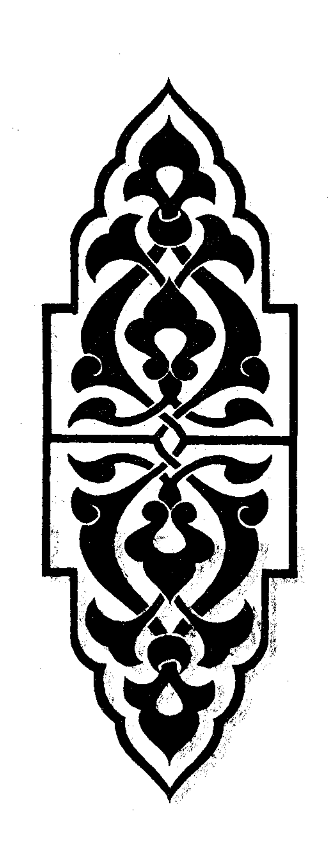


وَسَأَلَتْ نسيبَةُ ابْنَهَا عَبْدَ اللهِ (رَضِى الله عنهُما) فَقَالَتْ لَهُ : كَيْفَ حَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟

قَالَ لَهَا ابْنُهَا عَبْدُ اللّـهِ (رَضِىَ الله عنهُ) : إِنَّهُ بِخَيْرٍ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ مُسْتَلْقِياً فِى المَسْجِدِ عَلَى ظَهْرِهِ وَقَد وَضَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى .

وَلَمْ تَكْتَفِ بِذَلِكَ ، بَلْ خَرَجَتْ بِنَفْسِهَا لِتَطْمَئِنَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَتْهُ يَتَوَضَّأُ .

فَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا تَحْمَدُ اللهَ وَتُسَبِّحُهُ وَتَشْكُرُهُ .



صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ

بَعْدَ أَن اسْتَقَرَّتْ أُمُورُ المُسْلِمِينَ فِى المَدِينَةِ ، وَهَدَأَتِ الأَحْوَالُ ، عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَن يُؤَدِّىَ العُمْرَةَ بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ بِمَكَّةَ .

خَرَجَ فِى ذِى القِعْدَةِ لَا يُرِيدُ حَرْباً وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ تُرَافِقُهَا نسيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عِمَارَةَ (رَضِىَ الله عنهُم) وَجَمَاعَةٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، وَجَمْعٌ مِنَ الأَعْرَابِ قُدِّرَ عَدَدُهُمْ بِنَحْوِ أَلْفٍ وَخَمْسمائَةٍ ، وَسَاقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً ، لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِراً لِلْبَيْتِ ، لَا مُحَارِباً .

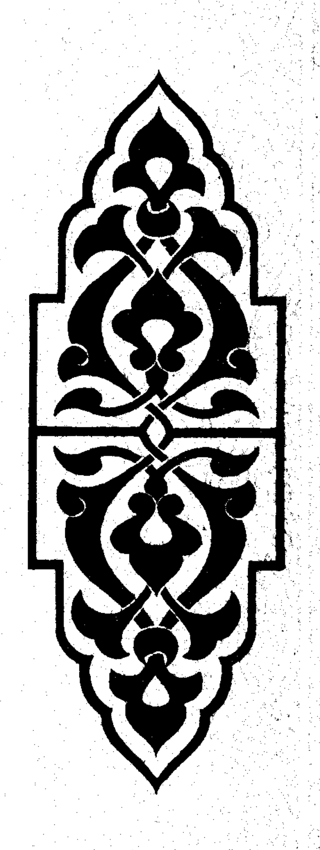
وَصَلَتْ أَخْبَارٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ مُشْرِكِى مَكَّةَ ، عَلِمُوا بِمَسِيرَةِ المُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى

مَنْعِهِمْ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحُدَيْبِيَّةَ ، وَدَعَا عُمَرَ ابنَ الخَطَّابِ (رَضِىَ الله عنهُ) لِيُرْسِلَهُ إِلَى مَكَّةَ لِيَقُولَ لِسَادَاتِ قُرَيْشٍ : إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ .

فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ (رَضِىَ الله عنهُ) : لَيْسَ بِمَكَّةَ مِن بَنِى عَدِىٍّ مَن يَمْنَعُنِى ، وَقَد عَلِمَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِى لَهَا ، وَأَخَافُهَا عَلَى نَفْسِى ، فَأَرْسِلْ عُثْمَانَ ابنَ عَفَّانَ فَهُوَ أَعَزُّ بِهَا مِنِّى .

دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) فَأَرْسَلَهُ إِلَى مَكَّةَ لِيُبَلِّغَ القَوْمَ هُنَاكَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ مُحَارِباً ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِلْعُمْرَةِ ، وَلَكِنَّ عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) غَابَتْ أَخْبَارُهُ وَأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ » .

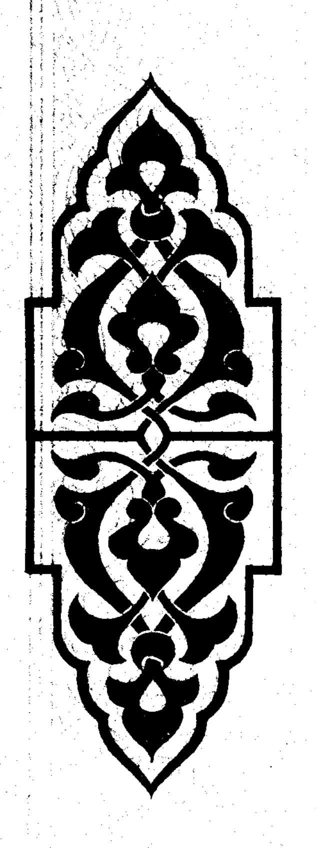
ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى البَيْعَةِ ... فَبَايَعُوهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ... وَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ المُبَايِعِينَ أُمُّ عِمَارَةَ نسيبَة بِنْتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) .



ثُمَّ جَاءَتِ الأَخْبَارُ بِأَنَّ عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) لَمْ يُقْتَلْ ... وَعَقَدَتْ قُرَيْشٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صُلْحَ الحُدَيْبِيَّةِ .

وَكَانَ مِن نُصُوصِ هَذَا الصُّلْحِ أَنَّ المُسْلِمِينَ لَن يَدْخُلُوا مَكَّةَ هَذَا العَامَ ، وَأَنَّ مَوْعِدَهُمْ لِلْعُمْرَةِ العَامَ

القَادِمُ ، وَوَافَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ ، وَنَحَرَ الإِبِلَ الَّتِى كَانَتْ مَعَهُ ، وَنَاوَلَتْهُ أُمُّ عِمَارَةَ نسيبَة بنت كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) حَرْبَةً [1] لِيَذْبَحَ بِهَا الإِبِلَ ، وَرَاحَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وهُوَ يَنْحَرُ بُدْنَهُ قِيَاماً بالحَرْبَةِ ، ثُمَّ قَفَلَ [2] رَاجِعاً إِلَى المَدِينَةِ [3] .



نُزُولُ القُرْآنِ بِسَبَبِ نسيبَة (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً عَلَى نسيبَةَ بنتِ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) عَائِداً لَهَا ، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَاماً .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلِى » .

فَقَالَتْ نسيبَةُ بنْتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) : إِنِّى صَائِمَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الصَّائِمَ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ » .

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَتْ لِلنَّبِىِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَرَى كُلَّ شَىْءٍ إِلَّا للرِّجَالِ .. مَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ فِى شَىْءٍ .

فَأَنْزَلَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ**

---

(١) **الحَرْبَةُ** : آلة قصيرة من الحديد محددة الرأس ، تستعمل فى الحرب .

(٢) **قَفَلَ** : أى رَجَعَ .

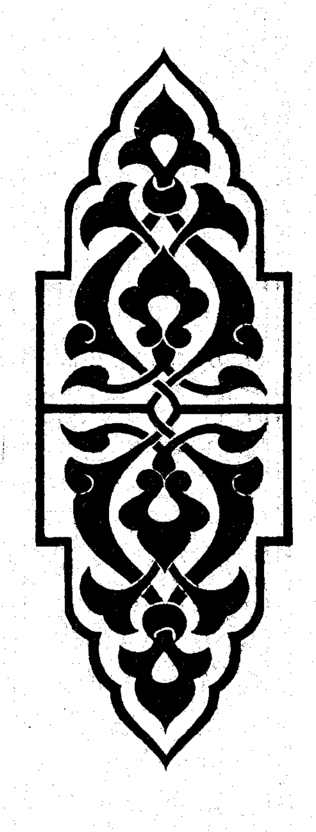
(٣) راجع : البداية (٤/١٦٤ - ١٧٧) .

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (١).

جِهَادٌ وَدَعْوَةٌ

لَمْ تَتْرُكْ أُمُّ عِمَارَةَ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) مُنَاسَبَةً للاشْتِرَاكِ فِى الجِهَادِ وَالْقِتَالِ وَالتَّمْرِيض وَسَقْى المَاءِ لِلْمُحَارِبِينَ وَالمُقَاتِلِينَ إِلَّا وَشَارَكَتْ فيهَا ، وَكَانَ إِذَا لَزِمَ الأَمْرُ لَبِسَتْ دِرْعَهَا ، وَاشْتَرَكَتْ فِى أَتُونِ (٢) الحَرْبِ ، حَتَّى أَصْبَحَ الجِهَادُ فِى دَمِهَا .

اشْتَرَكَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) كَذَلِكَ فِى خَيْبَرَ وَعُمْرَةِ القَضِيَّة وَحُنَيْنٍ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَكَانَتْ تَنْتَظِرُ الجَزَاءَ وَالثَّوَاب مِنَ المَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .



رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ وَقَد تَمَّتْ كَلِمَةُ اللهِ ، إِلَّا أَنَّهُ ظَهَرَ فِى أَرْضِ اليَمَامَةِ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ كَذباً ، إِنَّهُ مُسَيْلَمَةُ بنُ حَبِيبٍ ، فَغَيَّرَ وَبَدَّلَ فِى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، فَأَبَاحَ الخَمْرَ وَالمَيْسرَ ، وَرَفَعَ عَمَّن اتَّبَعَهُ الصَّلَاةَ ، وَتَعَصَّبَ لَهُ بَنُو حَنِيفَةَ وَقَالُوا : نَشْهَدُ

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٣٥) .

(٢) **الأَتُونُ** : الموقد الكبير .

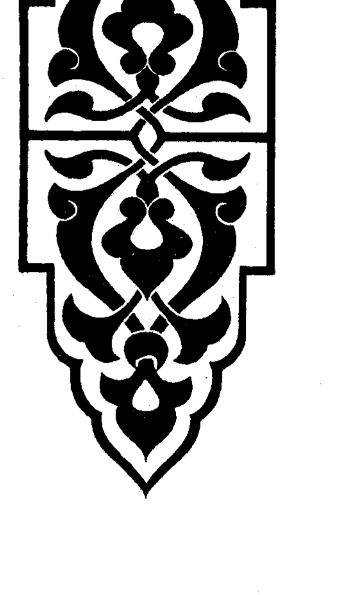
أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ صَادِقٌ ، وَمُسَيْلَمَةُ كَذَّابٌ ، وَلَكِنَّ كَذَّابَ رَبِيعَةَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِن صَادِق مُضَر .

فَأَخَذَهُ الغُرورُ وَقَد قَوِىَ أَمْرُهُ فَأَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ فيهَا : (من مُسَيْلَمَةَ رَسُول اللهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ سَلاَمٌ عَلَيْكَ ، وبَعْدُ .. فَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَنِى شَرِيكاً لَكَ فِى أَمْرِ الرِّسَالَةِ ، فَلِىَ أَنَا وَبَنُو حَنِيفَة نِصْفُ الأَرْضِ ، وَلَكَ وَلِقُرَيْشٍ النِّصْفُ الآخَرُ) .

كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِىُّ (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) يَقُولُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« مِن مُحَمَّدٍ رَسُول اللهِ ﷺ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (١) .



الشِّبْلُ الشُّجَاعُ

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَبِيبَ بنَ زَيْدٍ وَأُمَّهُ نسيبَة بنتَ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهما) إِلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب بِالْيَمَامَةِ ... مُجَرَّد رَسُولٍ يُؤَدِّى الرِّسَالَة ، وَيَعُودُ بِرِسَالَةٍ ، لَكِنَّ مُسَيْلَمَةَ وَقَفَ مِنْهُ مَوْقِفاً غَرِيباً .

قَالَ لَهُ مُسَيْلَمَةُ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ؟

قَالَ حَبِيبُ بنُ زَيْدٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : نَعَمْ .

قَالَ لَهُ مُسَيْلَمَةُ : أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللهِ ؟

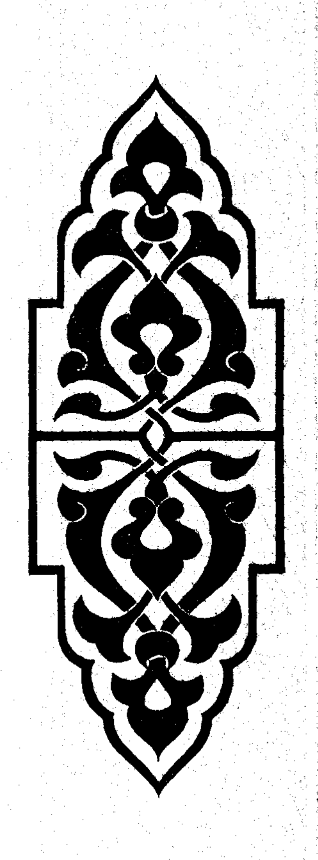
---

(١) تاريخ ابن جرير (١٤٦/٣) .

قَالَ حَبِيبُ بنُ زَيْدٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : إِنِّى أَصَمُّ لَا أَسْمَعُ .

فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ مِرَاراً ، وَحَبيبٌ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) يُجيبُهُ فِى قُوَّةٍ وَثَبَاتٍ وَإِيمَانٍ أَمَرَ مُسَيْلَمَةُ أَتْبَاعَهُ أَن يُقَطِّعُوهُ عُضْواً عُضْواً ، فَمَاتَ وَهُوَ يَقُولُ : « أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ » .

ثَأْرُ الأَبْطَالِ



عَلِمَتِ السَّيِّدَةُ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) بِمَصْرَعِ حَبيبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، فَلَمْ تَبْكِ وَلَمْ تَجْزَعْ ، وَهِىَ التِى وَهَبَتْ نَفْسَهَا للتَّضْحِيَةِ وَالفِدَاءِ ، وَتَلَقَّتْ نَبأَ قَتْلِهِ وَالتَّمْثِيلِ بِهِ بِالإِيمَانِ وَالصَّبْرِ وَالاسْتِسْلَامِ لِقَضَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَصَمَّمَتْ عَلَى أَن تَأْخُذَ ثَأْرَهُ بِيَدِهَا ... وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَد تُوُفِّىَ ، وَتَوَلَّى الخِلَافَةَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، وَأَعَدَّ جَيْشاً بِقِيَادَةِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) لِمُحَارَبَةِ المُرْتَدِّينَ وَمُدَّعِى النُّبُوَّةِ .

لَمْ تَكَدْ تَسْمَعُ نسيبَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) بالخَبَرِ ، حَتَّى أَسْرَعَتْ إِلَى أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) تَسْتَأْذِنُهُ فِى الخُرُوجِ لِتَشْتَرِكَ فِى حَرْبِ مُسَيْلَمَةَ ... وَللانْتِقَامِ لِفَلْذَةِ كَبدِهَا حَبِيبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، فَأَدْرَكَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) عِظَمَ مُصَابِهَا فِى ابْنِهَا حَبِيبٍ ، فَطَيَّبَ خَاطِرَهَا ،

وَوَاسَاهَا وَأَذِنَ لَهَا بالخُرُوجِ ، وَوَصَّى بِهَا القَائِدَ خَالِدَ ابنَ الوَلِيدِ (رَضِىَ الله عنهُ) .

خَرَجَتْ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) مَعَ جَيْشِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ (رَضِىَ الله عنهُ) ... مُتَحَمِّلَةً السَّفَرَ الطَّوِيلَ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى اليَمَامَةِ ، وَمَعَهَا ابْنُهَا عَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ شَقيقُ حَبيبٍ (رَضِىَ الله عنهُما) وَتَدُورُ المَعْرَكَةُ بَيْنَ جَيْشِ المُسْلِمِينَ وَبَيْنَ جَيْشِ مُسَيْلَمَةَ ... وَيَزْدَادُ ضَغْطُ المُسْلِمِينَ ، فَيَلْجَأُ مُسَيْلَمَةُ وَجَيْشُه إِلَى بُسْتَانٍ مسوّرٍ يَعْتَصِمُونَ بِهِ ، وَيُحْكِمُونَ قَفْلَ بَابِهِ ...

وَيُحَاصِرُ المُسْلِمُونَ البُسْتَانَ ... ثُمَّ يَقْفِزُ مِنْهُم بَطَلٌ إِلَى دَاخِلِهِ ... فَيُحَارِبُ القَوْمَ مِن وَرَاءِ البَابِ ، وَهُوَ يُحَاوِلُ فَتْحَهُ حَتَّى حَقَّقَ مَا يُرِيدُ ، انْدَفَعَ جَمْعٌ مِنَ المُسْلِمِينَ ، فَدَخَلُوا البُسْتَانَ ، وَقفزَ من قَفزَ من فَوْقِ السُّورِ وَالكُلُّ يَبْحَثُ عَن مُسَيْلَمَةَ ، وَكُلُّهُم شَوْقٌ كَبِيرٌ لِلقَائِهِ وَالقَضَاءِ عَلَيْهِ .

كَانَ فِى مُقَدِّمَةِ المُقَاتِلِينَ عَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ وَأُمُّهُ نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهُما) ، كَانَتْ تُقَاتِلُ قِتَالَ المُسْتَمِيت ... وَكَانَتْ تَكْثُرُ عَلَيْهَا الجِرَاحُ ... لَكِنَّهَا لَمْ تَهْتَمَّ بِمَا يُصِيبُهَا ، إِنَّها تُرِيدُ أَن تَصِلَ إِلَى مُسَيْلَمَة ... وَلَكِنَّ (وَحْشِيًّا) وَصَلَ إِلَيْهِ قَبْلَهَا يُرِيدُ أَنْ يُكَفِّرَ عَمَّا فَعَلَهُ بِحَمْزَةَ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَد ضَرَبَ

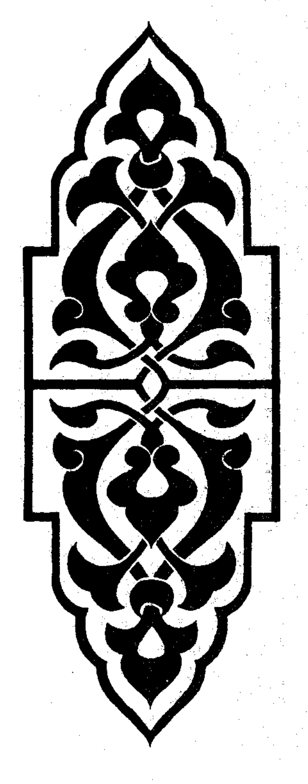
مُسَيْلَمَةَ بِحَرْبَتِهِ ... وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ أَخُو حَبِيبِ ابنِ نسيبَةَ بنتِ كَعْبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُم) ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أُمِّهِ لِيُخْبِرَهَا بِقَوْلِهِ : لَقَد قَتَلْنَا مُسَيْلمَةَ الكَذَّابَ .

كَانَتْ جِرَاحُ نسيبَةَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) تُدْمِى ... وَفَقَدَتْ إِحْدَى يَدَيْهَا ، وَعَلِمَ القَائِدُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ نسيبَةَ ، فَاهْتَمَّ بِهَا اهْتِمَاماً كَبِيراً ، وَبَحَثَ عَن طَبِيبٍ يَحْسِمُ جُرْحَهَا بِالزَّيْتِ المَغْلِيِّ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ العَرَبُ فِى مِثْلِ هَذِهِ الحَالِ حَتَّى وَجَدَهُ ، فَغَمَرَهَا بالزَّيْتِ ، وَكَانَ أَلَمُ الكَىِّ أَشَدَّ وَقْعاً ، وَصَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَمَا قَالَ لَهَا : « وَمَن يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عِمَارَةَ » .

رَنَّتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ الَّتِى قَالَهَا الرَّسُولُ الأَعْظَم ﷺ فى أُذُنِها فَكَانَتْ بَرْداً وَسَلَاماً .

آبَتْ (١) نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) إِلَى المَدِينَةِ ، وَكَانَ الخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) دَائِمَ السُّؤَالِ عَنْهَا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِوُصُولِهَا أَسْرَعَ إِلَيْهَا يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهَا ... وَيُوَاسِيهَا ... وَيَعُودُهَا .



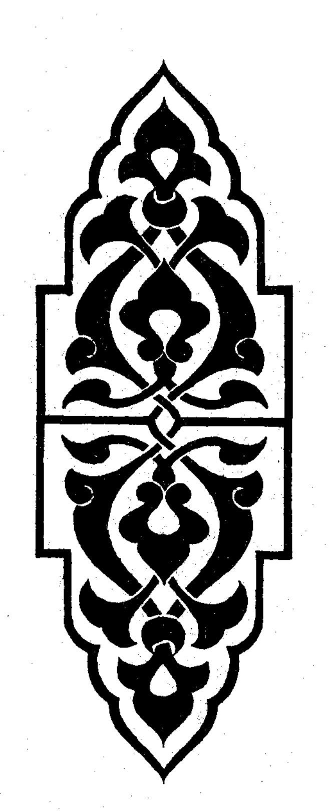


---
(١) أى رجعت .

وَفَاتُهَا

عَكَفَتْ أُمُّ عِمَارَة نسيبَةُ بنتُ كَعْبٍ (رَضِىَ الله عنهَا) عَلَى عِبَادَتِهَا لله مُحَافِظَةً عَلَى صَلَاتِهَا وَصَوْمِهَا مُنْتَظِرَةً السَّاعَةَ الَّتِى تَنْتَهِى فِيهَا الحَيَاةُ الفَانِيَةُ إِلَى الدَّارِ البَاقِيَةِ الخَالِدَةِ ، فَتَكُونُ مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالمُخْلَصِينَ ، وَقَد أَدَّتِ الرِّسَالَةَ كَامِلَةً ، وَشَهِدَ لَهَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ ﷺ ، وَسَتَكُونُ مِن رُفَقَائِهِ فِى الجَنَّةِ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُم رُفَقَائِى فِى الجَنَّةِ » (١) .

وَهَذِهِ شَهَادَةُ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم ، وَتُوُفِّيَتْ فى السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ .



★ ★ ★

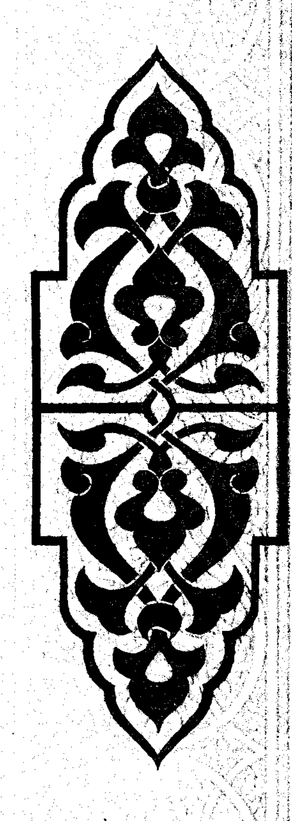
(١) سبق تخريجه .

وإلى اللقاء بمشيئة الله مع ..

أسماء بنت عميس رضي الله عنها

زوجة الأبرار

★ ★ ★



دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١١٢٧٦



وكيلنا في المملكة المغربية:
دار الاعتصام
للطباعة والنشر والتوزيع
الرحماني عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكي (الأحباس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٩٩٧/٧٦١٦



دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي ـــ ١١٢٣١